أشهر الكبائر
القتل
الزنا
الحسد
عقوق الوالدين
أكل مال اليتيم
السحر
الربا
قذف المحصنات
منع الزكاة
الفرار يوم الزحف
شهادة الزور
الشرك بالله
السرقة
شرب الخمر
ترك الصلاة
ملخص المحاضرة الرابعة
علاء حامد
Alaa Hamed

جريمة السب والقذف

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم،

أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في لقاء جديد مع هذه السلسلة الطيبة المباركة، كثيرًا ما نتكلم عن التقوى وعن الدار الآخرة ولكن يوجد بعض الناس ما زالت تفعل أشياء كثير خطأ وهذا محتاج أن تشاور له على هذه الأفعال، لذلك نتحدث في هذه الدورة عن أشهر الكبائر التي تحدث بين الشباب ولكن البعض لا يعلم أنها كبيرة.

المحاضرة السابقة تحدثنا عن **الغيبة** ولكن ما زال يوجد بعض الآفات المتعلقة باللسان، سنأخذ من هذه الآفات ما يتعلق **بالسب والقذف وسب الدين.**

مقدمة عن حب شرعنا وديننا وفضل الأدب

لا بد أن نفخر بإننا مسلمون، وبجمال هذا الدين وحثه على الأدب وفي رعاية لسان الإنسان، ألَّا يسُب أو يقع في القذف، فتشعر برقي هذا الدين، والله عز وجل لا يضطرر عندما تقع في ذلك إنما يريد لك الكمال، فهذه الشريعة لتكمُل أنت، لترتقي أنت، لتنجو أنت.

لذلك قال النبيﷺ:- [إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. وفي رواية: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق].

والسيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها عندما حدث اللقاء الأول بين النبيﷺ و سيدنا جبريل، قالﷺ:- زملوني زملوني، قالت:- (أَبْشِرْ، فواللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أبدا، فوالله إنَّكَ لَتَصِلُ الرحِم، وتصدُق الحديث، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْف، وتُعِين على نَوَائِبِ الحقِّ) رواه البخاري.

فانظر إلى فقه هذه المرأة الحكيمة حيث استدلت بأخلاق النبيﷺ أن مِثله لا يُخذل وأن الله عز وجل لا يتخلى عن أصحاب الأخلاق الحميدة سبحانه وتعالى، فأنت تتخلق بالأخلاق الحميدة لتطمع في رعاية وأمن الله وإكرام الله لك في حياتك ولا يخزيك.

كلما ارتقى الإنسان في سلم الأخلاق كلما كان لديه درجة كبيرة جدًا عند الله.

ففي الحديث:- [إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"].

وفي الحديث:- [إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم مني مجلسًا يومَ القيامةِ:- محاسنُكم أخلاقًا ، وإنَّ أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم مني مجلسًا مساوِئُكم أخلاقًا الثرثارونَ المتشدِّقونَ المتفيهِقونَ].

فنحن للأسف اليوم نفتقد هذه الأخلاق، ومع انتشار السوشيال ميديا أصبح الأمر أخطر، والأغلب اليوم يتلقى العلم عن طريق الإنترنت وذلك قد يكون لظروف لديهم ولكن حُرِموا من الأدب، فلا يمكن أبدًا أن يستغني طالب العلم بالميديا أبدًا مهما كان من دورات، فعندما تنزل إلى أرض الواقع تجد طالب العلم يتعلم الأدب عن طريق الجلوس على الأرض والصمت ومتابعة الشيخ إلى نهاية الدرس وترى أفعال الشيوخ وردود أفعالهم وتصرفاتهم.

فلا بد أن يكون لك شيخ على أرض الواقع تتعلم منه الأدب أولًا، وكذلك النساء لا بد أن يكون لكِ معلمة على أرض الواقع.

يقول الحجاج بن أرطاة رحمه الله تعالى:- (إن أحدكم إلى الأدب أحوج منه إلى خمسين حديثًا).

فمع الأسف اليوم تجد بعض طلاب العلم يفتقدون الأدب مع أنهم ممتازين جدًا في باب طلب العلم.

يقول زكريا العنبري:- (علمٌ بلا أدب كنار بلا حطب، وأدبٌ بلا علم كروح بلا جسم).

فالأولى تعني ربنا لا يبارك لشخص لديه علم وليس لديه أدب ولا يُبقي له علم، والثانية شخص لديه أدب ولكن لا يتعلم فهو روح بلا جسد، فلا بد الجمع بين الأدب والعلم.

يقول الإمام مالك:- (أردت أن أطلب العلم عند أبي أيوب السختياني، فحضرت لأنظر في هَديه وسمته أولًا، فوجدت مهما ذُكر عنده النبيﷺ إلا بكى، قال:- فتلقيت العلم منه)

أحدهم كان يقول:- (كنتُ حين أشعر بقسوة في قلبي أذهب وآتي محمد بن واسع، قال:- فأنظر في وجهه نظرة، فكنتُ إذا رأيت وجهه كأني رأيت وجه ثكلى (أي التي فقدت ولدها))، وهذا من شدة الورع والخشوع الذي كان فيه.

وكان يُقال إذا ذكرت أحوال السلف أُفتُضِحنا.

ولكن هناك باب أمل:-

قيل للحسن:- سبقنا القوم على خيلٍ دهم (أي خيل سوداء قوية) ونحن على حُمرٍ معقرة(دواب ضعيفة)، فقال:- إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم.

فاستمر حتى لو كان سيرك بطيء ولا تجعل الشيطان يوقفك مهما أحبطت من ذكر أحوال السلف

روعة تشريعات الإسلام في قضية السبّ لغير الإنسان

ستجد في هذا الدين جمال وعظمة ورقي لا يوجد على سطح الأرض، هذا الدين الذي لا نهتم به مع الأسف وبعض الناس تستبدله بسلوكيات وعادات غربية.

النهى عن سب الريح:-

النبيﷺ نهى عن سب الريح فقال:- [لا تسبُّوا الرِّيحَ فإذا رأيتُم منْها ما تَكرَهونَ فقولوا اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ خيرَ هذِهِ الرِّيحِ وخيرَ ما فيها وخيرَ ما أرسلَت بِهِ ونعوذُ بِكَ من شرِّ هذِهِ الرِّيحِ وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أُرسِلَت بِهِ].

وعن ابن عباس أن رجلًا نازعته الريح، فقال الرجل:- لعن الله الريح، فسمعه النبيﷺ وقال له:- لا تلعنها إنها مأمورة وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه.

فتخيل النبيﷺ دافع عن الرياح، وكيف اليوم الناس يسبوا الرياح والجو والحر والطقس عمومًا.

النهى عن سب الأمراض:-

ورد في الحديث:- [أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دَخَلَ على أُمِّ السَّائِبِ -أو أُمِّ المُسَيِّبِ- فقال: ما لَكِ يا أُمَّ السَّائِبِ -أو يا أُمَّ المُسَيِّبِ- تُزَفزِفينَ؟ قالتِ: الحُمَّى، لا بارَكَ اللهُ فيها، فقال: لا تَسُبِّي الحُمَّى؛ فإنَّها تُذهِبُ خَطايا بَني آدَمَ كما يُذهِبُ الكيرُ خَبَثَ الحَديدِ].

فتخيل صبرك على هذا المرض تكون أنت الكسبان في النهاية، فلا بد أن يستقبل الإنسان أقدار الله بالرضا ويحمد ربنا على هذه الهدايا، ويدعو الله عز وجل.

النهى عن سب الشيطان:-

ففي الحديث:- [لا تسبُّوا الشيطانَ ، و تعوَّذُوا باللهِ من شرِّهِ].

فنهى النبيﷺ عن سب الشيطان لأن لا فائدة منه ويُعوِد اللسان على السب والشيطان يفرح بهذا فيتعاظم.

ففي حديث أبي المليح عن أبيه قال:- [كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثر بعيري، فقلت:- تعس الشيطان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:- لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول:- بقوتي صرعته ولكن قل:- بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة].

لأن المؤمن ليس بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء.

فهذا يجعلك لسانك يعتاد على السب، لذلك فانتبه.

النهى عن سب الطيور:-

قال النبيﷺ:- [- لا تَسُبُّوا الدِّيكَ ؛ فإنه يُوقِظُ للصلاةِ].

والمعنى هنا غير المقصود به أنه يؤذن بل يستيقظ وقت الفجر ويصدر أصواتًا فيجعلك تستيقظ لصلاة الفجر.

النهي عن سب الدَّواب والخَيْل والحمِير:-

عن جابر بن عبد الله أن رجلًا من الأنصار أناخ بعيره ثم هيجه ليقوم فتأخر البعير، فقال الرجل:- لعنك الله، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:-[من هذا اللاعن بعيره ؟ قال : أنا يا رسول الله، قال:- انزل عنه، فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الساعة فيستجيب لكم].

النهي عن سب الأموات:-

قال النبيﷺ:- [لا تَسُبُّوا الأمواتَ؛ فإنَّهم قد أفضَوا إلى ما قدَّموا].

تخيل كل هذا منهي عن سبِّه، فما بالك عن سبِّ المسلم؟

جزاء سبُّ المسلم

سبُّ المسلم من الكبائر، حيث أن النبيﷺ وصفه بإنه فسوق.

قال النبيﷺ:- [سِبابُ المسلمِ فسوقٌ ، وقِتالُه كفرٌ].

فمن ذلك قول (يا حمار، يا كلب

...وهكذا)، فيذكر العلماء هذه الألفاظ في شرح الأحاديث.

يقول الإمام النخعي:- (إذا قال الرجل للرجلِ يا حمار أو يا خنزير، قيل له يوم القيامة:- أرأيتني خلقته حمارًا؟ أرأيتني خلقته خنزيرًا؟).

والسب يتضمن كذب أيضًا وإيذاء، فيتساقط لحم وجه الإنسان عند عتاب ربه له، لذلك يجب على كل الإنسان أن يعِفُ لسانه حتى عن السبَّ المعتاد، حيث يعتبره بعض الناس أنه شيء عادي كقول:- (يا غبي، يا متخلف، يا عبيط....وهكذا)، وهذه الشتائم تؤدي إلى الأكبر منها مثل سب الوالدين ثم بعد ذلك سب الدين.

فينبغي عليك أن تعتاد على عدم قول ذلك حتى لو الشخص يقبل منك هذه الشتيمة لأنه ليس المؤمن باللعان ولا بالفاحش ولا البذيء، حتى لو بمزاح أيضًا لا يجوز.

شبهة معينة لدى بعض الناس:- عندما يغتاب شخص شخصًا آخر ويقول أنا أستطيع أنا أقول ذلك أمامه أيضًا، نقول له عندما تقولها في وجهه أصبحت شتيمة وعندما تقولها من وراءه أصبحت غيبة، فكلتا الحالتين أنت آثم.

شبهة أخرى لدى بعض الناس:- يغتاب شخص شخصًا آخر بقول مثلًا أنه غبي، فتقول له أنت اغتبته هكذا، يقول لك:- لا أنه يعلم أنه غبي، فهذا شيء غريب جدًا.

ينبغي للإنسان إذا تم نصحه يتقبل النصيحة ولا داعي للجدال، فالأسوء من الذنب أن يجادل فيه.

يقول الله عز وجل:- ﴿وَإِذا قيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتهُ العِزَّةُ بِالإِثمِ فَحَسبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئسَ المِهادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

كثير السبِّ مُعرض أن يُهلك

كما قال النبيﷺ:-[سبابُ المسلِمِ كالمشرِفِ على الهلَكةِ]

فهذا الشخص يشتم أي شيء وهذا أسلوبه، فتتخيل كم سيلقى من ذنوب القيامة؟

كما قال النبيﷺ:- [أتَدرونَ ما المُفلِسُ ؟ إنَّ المُفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ ، وزكاةٍ ، ويأتي وقد شتَم هذا ، وقذَفَ هذا ، وأكلَ مالَ هذا ، وسفكَ دمَ هذا ، وضربَ هذا ، فيُعْطَى هذا من حَسناتِه ، وهذا من حسناتِه ، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ ، أُخِذَ من خطاياهم ، فطُرِحَتْ عليهِ ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ]

فكل كلمة بحساب والله عز وجل لن يضيع حقوق الناس يوم القيامة إلا لو حدث العفو من هؤلاء الناس، فأنت في هذه الحالة تحتاج أن تفعل كم ضخم جدًا من الحسنات بحيث لو أخذ شخص منك حقه يوم القيامة يتبقى لك حسنات، فكيف تضع نفسك في هذا الموقف؟

كثير السبّ مهدد بالنار.

في حديث أبي هريرة، قَالَ رَجُلٌ:- يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةً تُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ:- «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ:- يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةً تُذْكَرُ قِلَّةَ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تؤذي جِيرَانَهَا. قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ».

فإيذاء الجار عمتًا شديد الخطورة، حيث

قال النبيﷺ:-[ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنه سيورِّثُه]

هذا عقابه أشد عند الله، فينبغي أن تخرج أخلاق أكمل مع الجار وتكون قدرتك على تحمل الأذى من الجار أكبر من غيره لعظم حق الجيرة.

درجات السب

فالسبُّ له درجات، فوصف شخص بالغباء غير أنه حمار غير خنزير والدرجة الأسوء أن تسبه في عرضه ولو قمت بسب الدين فهذا أمر مختلف تمامًا.

لكن سنتكلم عن درجات السب دون القذف ودون سب الدين مبدئيًا:- فمنها:-

- أن يكون السبُّ أقبح كما قلنا.
- أن يكون السبُّ بالعموم، كأن تسب مجموعة في لفظ واحد، وهذا خطر جدًا، وكذلك أيضًا في الغيبة كما قالنا.

كأن تقول امرأة الرجال كلهم خائنين.فالرجال منهم الأنبياء ومنهم الصحابة ومنهم الصالحين.

كأن يقول رجل النساء كلهن غير طاهرات....وهكذا.

كأن يقول شخص العمال كلهم كذا...

فالله عز وجل نفسه قال:- ﴿وَمِن أَهلِ الكِتابِ مَن إِن تَأمَنهُ بِقِنطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيكَ وَمِنهُم مَن إِن تَأمَنهُ بِدينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيكَ إِلّا ما دُمتَ عَلَيهِ قائِمًا ذلِكَ بِأَنَّهُم قالوا لَيسَ عَلَينا فِي الأُمِّيّينَ سَبيلٌ وَيَقولونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُم يَعلَمونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

تخيل الله عز وجل تحرز في الحديث وفصل هؤلاء عن هؤلاء، فلو أردت أن تسلم ممكن أن تقول يوجد بعض كذا ولا تتكلم بالعموم، فهذا التعميم يصيب من لا يستحق الكلام.

والنبيﷺ قال:-[إنَّ أعظمَ الناسِ عند اللهِ فِريةً لرجلٌ هاجى رجلًا فهجا القبيلةَ بأسرِها ، و رجلٌ انتفى من أبيه و زِنى أُمِّه].

فمثلًا كان يوجد قبلتين فهجى شخص من القبيلة الأولى شخص من القبيلة الثانية، فقام الثاني بعمل شعر في القبيلة الأولى بأكملها، فبدل أن يرد عليه، تكلم عن القبيلة كلها سواء الصالح أو الطالح.

قال الله عز وجل:- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال النبيﷺ:- [إنَّ مِن أربَى الرِّبا الاستِطالةُ في عِرْضِ المسلِمِ بغيرِ حقٍّ].

سبُّ الوالدين، فهذه أعلى من أنك تسُب الشخص نفسه، خاصةً إذا تطور الأمر وقام هذا الشخص ورد عليك وسب والديك، فكنت أنت السبب في سب والديك، فكأنك سببت والديك.

لذلك قال النبيﷺ:- [من الكبائرِ شتمُ الرَّجلِ والدَيْه ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ! وهل يشتُمُ الرَّجلُ والدَيْه ؟ قال : نعم ، يسُبُّ أبا الرَّجلِ ؛ فيسُبُّ أباه ؛ ويسُبُّ أمَّه ؛ فيسُبُّ أمَّه].

كانت العرب هذا الأمر لديهم مستحيل وكان شديد جدًا، حتى سيدنا حمزة أسلم بسبب أن الرسولﷺ تم سبُّه، فننظر الآن إلى حال الشباب فإنهم يقومون بشتم آباءهم مباشرةً ويسخروا منهما، وتجد بعض الشباب يقومون بالسخرية من والديهم على السوشيال ميديا وتجد التعليقات كذلك، فهذه التصرفات التي تسخر منها ستفعلها يومًا ما وستفهم حينها لماذا كانا يفعلان ذلك، فهذا أشبع صورة ممكن أن تراها عندما يقوم شخص بتقليد والده ويسخر منه.

والدرجة الأصعب عندما يكون السبُّ لأهل الفضل، ابتداءً من عموم العلماء وأهل الخير والصلاح، فالسبُّ فيهم ليس كسبُّ أي أحد.

ابن عساكر يقول:- اعلم رحمك الله أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة.

وكما قيل:- من تكلم في العلماء بالسلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب.

وروي عن الإمام أحمد أنه قال:- لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض ومن أكلها مات.

ويقول ابن المبارك:- من استخف بالعلماء ذهبت آخرته.

وحتى أصحاب البدع، يستطيع العلماء أن يربطوا الشدة ويفصلوا بين المسألة العلمية وبين الشخص ذات نفسه الذي يبتدع، لكن طالب العلم لا يستطيع أن يفصل فيظن أنه يفعل مثل العالم، ولكن العالم استطاع أن يشتد على صاحب البدعة وينكر عليه دون أن يتعرض لشخصه أو لأهله أو انتقص من هيئته.

والدرجة هنا تشتد إذا كان السبُّ في التابعين أو الصحابة، فهنا الأمر يكبر جدًا، ويوجد خلاف بين أهل العلم هل هذا يعد كفر أم لا؟

خالد بن الوليد حدث مشكلة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فسبَّه خالد، فقام النبيﷺ بالإنكار على خالد بن الوليد جدًا، فقال:-

لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه.

والذي يتكلم عن العلماء أو التابعين أو الصحابة بسوء يُخشى عليه سوء الخاتمة، فهناك هذا الأثر:-

كان هناك قاضي فقيه شافعي يُدعى محمد بن عبد الله الزُّبيدي وكان عالمًا وكان مشهورًا في اليمن وكان له طلبة كُثر واشتهر ذكره ولكن ذكر من حضر عند الوفاة وهو الجمَّال المصري قال:- شهدت عند الوفاة وقد انتلع لسانه واسودَّ، فكانوا يرون أنه قد حصل فيه ذلك لأنه كثيرًا ما كان يقع في الإمام النووي رحمه الله تعالى.

السخرية تُلحق بالسبّ

فباب السخرية يلحق بباب السب لأن السخرية عبارة عن سب، ولكن نحن نغيرها بأشياء أخرى مثل التنمر والسف ولكن كل هذا سخرية، فلا بد من المحافظة على الاسم الشرعي.

وقال الله عز وجل:- ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا يَسخَر قَومٌ مِن قَومٍ عَسى أَن يَكونوا خَيرًا مِنهُم وَلا نِساءٌ مِن نِساءٍ عَسى أَن يَكُنَّ خَيرًا مِنهُنَّ وَلا تَلمِزوا أَنفُسَكُم وَلا تَنابَزوا بِالأَلقابِ بِئسَ الِاسمُ الفُسوقُ بَعدَ الإيمانِ وَمَن لَم يَتُب فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمونَ﴾ [الحجرات: ١١].

فلا تدري الشخص الذي تسخر منه هو أفضل منك عند الله تعالى.

[مرَّ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ رجلٌ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ : ما تقولونَ في هذا الرَّجلِ ؟ قالوا : رأيَكَ في هذا ، نقولُ : هذا من أشرافِ النَّاسِ ، هذا حريٌّ إن خطبَ ، أن يخطَّبَ ، وإن شفعَ ، أن يشفَّعَ ، وإن قالَ ، أن يسمعَ لقولِهِ ، فسَكتَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ ، ومرَّ رجلٌ آخرُ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ : ما تقولونَ في هذا ؟ قالوا : نقولُ ، واللَّهِ يا رسولَ اللهِ ، هذا من فقراءِ المسلمينَ ، هذا حريٌّ إن خطبَ ، لم ينْكح ، وإن شفعَ ، لاَ يشفَّع ، وإن قالَ ، لاَ يسمع لقولِهِ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ : لَهذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلَ هذا].

الشاهد أن الإنسان يتجنب ما يتعلق بالسبَّ كالسخرية.

أحوال السلف في حال السبّ

يجوز للإنسان أن يرد بمثل ما قيل له بالظبط إلا القذف وسب الآباء والأمهات وسب الدين، ولكن الأكمل عدم الرد.

كما قال تعالى:- ﴿وَإِن عاقَبتُم فَعاقِبوا بِمِثلِ ما عوقِبتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرتُم لَهُوَ خَيرٌ لِلصّابِرينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

عن سعيد بن المثيب رحمه الله تعالى قال:- بينما رسول اللهﷺ جالس ومعه أصحابه، وقع رجلٌ بأبي بكر فآذاه، فصمت أبو بكر، ثم آذاه الثانية، فصمت أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر لنفسه، فقام رسول اللهﷺ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر:- أوجدت عليَّ يا رسول الله؟ فقالﷺ:- نزل ملكٌ من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان.

يقول أسماء بن خارجة:- (ما شتمتُ أحدًا قط لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق من غفره، وإن شتمني لئيم فلا أجعل عرضي له غرضًا يهدفه بسهام شتمه).

في ترجمة عمر بن عبد العزيز، قالوا اسمعوه رجلًا كلامًا وهو أمير المؤمنين، فسكت عمر وقال:- أردتَ أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا، لا والله انصرف، رحمك الله.

فمعروف أن السلطان انتقامه رهيب، فلذلك سكت عمر ولكي لا ينال منه يوم القيامة.

قال الأصمعي:- اسمع رجل الشعبي كلامًا، فقال له الشعبي:- إن كنت صادقًا غفر الله لي، وإن كنت كاذبًا غفر الله لك.

عن عبد الله بن بكر المزني قال:- جاء رجل فشتم الأحنف، فسكت عنه وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل:- والهفاه ما يمنعه من أن يرد إلا هواني عليه.

استطال رجل على أبي معاوية الأسود فقال:- استغفر الله من الذنب الذي سلطك الله به عليَّ.

عمر بن ذر وقع فيه رجل وعلم عمر ذلك، فلقى عمر بن ذر في مرة في الطريق فقال:- يا هذا بلغني أنك تشتمني، يا هذا لا تفرط في شتمنا وابق للصلح موضعًا، فإننا لا نكافأ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع اللهَ فيه.

ماذا لو وصل السبُّ إلى العِرضُ؟

فعندما يصل السبُّ إلى العِرض يسمى قذف، وهذا أمر خطير جدًا.

قال تعالى:-﴿إِنَّ الَّذينَ يَرمونَ المُحصَناتِ الغافِلاتِ المُؤمِناتِ لُعِنوا فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَلَهُم عَذابٌ عَظيمٌ﴾ [النور: ٢٣]. وقال الله عز وجل:- ﴿وَالَّذينَ يَرمونَ المُحصَناتِ ثُمَّ لَم يَأتوا بِأَربَعَةِ شُهَداءَ فَاجلِدوهُم ثَمانينَ جَلدَةً وَلا تَقبَلوا لَهُم شَهادَةً أَبَدًا وَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقونَ﴾ [النور: ٤].

وفي الحديث:- [اجتنِبوا السَّبعَ الموبقاتِ قيلَ:- يا رسولَ اللهِ ! وما هنَّ ؟ قال:- الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقتلُ النَّفسِ الَّتي حرَّمَ اللهُ إلَّا بالحقِّ، وأكلُ مالِ اليَتيمِ، وأكلُ الرِّبا، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحفِ، وقَذفُ المُحصَناتِ الغافِلاتِ المؤمِناتِ].

الرجل أيضًا يدخل في هذا الأمر وليس خاص بالنساء فقط ولكن أكثر القذف يكون في النساء لأن أغلى شيء لدى المرأة هو شرفها.

الشريعة تقول لك أن الشخص الذي يتم قذفه لا ينبغي أن يدافع عن نفسه والأصل فيه البراءة ولكن الشخص الذي يقذف هو الذي يأتي بدليل وهو أربعة شهداء شاهدوا الفرج في الفرج وإن لم يأتي بهذا الدليل فأصبح قاذف ويُجلد ثمانين جلدة، ولا بد أن يرى أربعة شهداء هذا الأمر ولا يصلح لو واحد فقط رأى هذا أو رأوهم عراى، فلا يصلح أيضًا ويقام عليهم حد القذف، حتى لو شخص صادق وذهب بمفرده إلى القاضي وقام بالقذف، فلا يصلح منه ويقام عليه حد القذف وهو ثمانين جلدة.

لأننا نخطأ في صادق أفضل من أننا نصدق كثير سيقومون بالكذب لو فتحنا هذا الباب، والشريعة متشوفة لترك الحدود وللستر.

فترى حرص الشريعة واحتياطها لهذا الأمر، وللأسف تجد الآن القذف أصبح شيء علني، كأن يسب شخص شخصًا آخر بقول معناه فيه زنا أو أمر متعلق بفعل قوم سيدنا لوط.

وقول يا ابن الزانية أو ابن الزاني هذا قذف صريح

ولكن مثلًا قول ابن الفاجرة والكلمات التي تشبهها يحتمل معنيان:-

المعنى الأول

كان بالفعل يريد أن يتهم عِرض وهنا يُقام عليه حد القذف

والأمر الثاني أن يأتي به القاضي ويسأله ماذا كان قصده ويجعله يحلف على قصده، فلو كان قصده غير ذلك يعاقبه أيضًا ولكن ليس حد القذف، لأن الشتيمة في الشريعة يُعاقب عليها.

إذا اعترف الشخص بالزنا بالفعل، لن يُقام الحد على القاذف.

حد القذف في الإسلام:-

قذف هذا الشخص ثمانين جلدة أو يتوب توبة صادقة ولا يعترف على نفسه ويتوب بينه وبين الله.

عدم قبول شهادته وتسقط في كل شيء.

اللعن لأن الله عز وجل

قال:- ﴿إِنَّ الَّذينَ يَرمونَ المُحصَناتِ الغافِلاتِ المُؤمِناتِ لُعِنوا فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَلَهُم عَذابٌ عَظيمٌ﴾.

فلو تاب وأصلح نعامله بطريقة حسنة.

بعض الناس يستسهلوا في هذا الأمر في حال أن تكون البنت أخلاقها سيئة، فيرى أنه شيء عادي، مثل:- ممثلة مثلًا أو متبرجة، فأيضًا يطبق عليه الحد إذ لم يأتي بالشهود.

ممكن لو رأها في هذه الحالة أن يحذر منها لسبب ما ضروري مثل ما قلنا في الغيبة في أمر التحذير.

فتخيل يوم القيامة ستجد كل الناس الذين قمت بقذفهم عن طريق السب يأخذوا من حسناتك، فالحذر فالحذر من هذا الباب فالأمر يشتد جدًا في القذف.

يقول الله عز وجل:- ﴿يَومَ تَشهَدُ عَلَيهِم أَلسِنَتُهُم وَأَيديهِم وَأَرجُلُهُم بِما كانوا يَعمَلونَ﴾ [النور: ٢٤]

﴿يَومَئِذٍ يُوَفّيهِمُ اللَّهُ دينَهُمُ الحَقَّ وَيَعلَمونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبينُ﴾ [النور: ٢٥]

حد الشتيمة فى الشريعة

إذا شتم شخص شخصًا آخر، وذهب هذا الشخص إلى القاضي وجاء باثنان من الشهود، القاضي يعاقب الشخص الذي شتم ولكن دون حد القذف، فمن الممكن أن تكون عشر جلدات أو عشرون جلدة أو يحبسه يومان أو يدفعه غرامة...وما إلى ذلك

الدرجة الأعلى من السبَّ وهى سبُّ الدين

سبُّ الدين هو أسوء سب ممكن أن يوصل إليه الإنسان بكل الأحوال، لأنه أسوء من كل ما فات، لأنه مخرج من الملة، بمعنى:-

نسأل الشخص الذي يفعل هذا فيقول أنا كنت فقط أشتمه لكي أوجعه، فنسأله هل كنت تعلم أن هذا حرام؟ فلو قال نعم أعلم أنه حرام لكن لا أعلم أنه كفر، فهنا لا يلزم أن تعلم أنه كفر يكفي أنك تعلم أنه حرام، فهنا يقع عليه الحكم، والجهل المقبول هو الجهل بالحرمة تمامًا إنما الجهل بدرجة الحرمة غير مقبول وهذا نسميه جهل العاقبة.

مثل الجهل بالحد، فعندما نقول للشخص أنه هكذا عليك حد يقول لا أعلم أن عليه حد ولكن أعلم أنه حرام، فهذا غير مقبول ويُقام عليه الحد.

من أنواع الجهل:-

- جهل نتيجة عن عدم البلاغ، وهنا يُعذر فيه الشخص.
- جهل العاقبة، وهذا لا يُعذر فيه الشخص.

وللأسف أغلب الناس يعلموا أنه حرام والبعض يعلم أنه كفر، فالاثنان يقع عليهما الحكم، فالحذر فالحذر، فسبُّ الدين مثل سب الله عز وجل مثل سب النبيﷺ، وإن كان سبُّ الله عند العلماء متفق عليه أنه كفر وكذلك سبُّ الرسل.

قول جمهور العلماء أن سبَّ الدين كفر عدا المالكية ولكن أيضًا لهم تفاصيل فيها.

فقول المالكية:- إذا كان يسبُّ الدين قاصد بالدين طريقة الشخص أو أخلاقه فهنا لا يسب الدين بل يسب طريقة الشخص أو أخلاقه، ولو كان القصد هو الدين المعروف يكون هنا خرج من الملة.

ولكن مَن مِن الشباب اليوم يسب الدين ويكون قصده أخلاق الشخص أو طريقته؟ فلا تجد هذا ولا تأتي في باله وواقعيًّا غير موجود، فهو يسب الدين قاصد به الدين نفسه لكي يستفز الشخص ويألمه.

فالحذر فالحذر من قول هذا، لأن هذا يدل على عدم تعظيم الدين في قلبك وسبُّ الدين كفر.

ماذا يفعل مَن سب الدين؟

عليه أن يدخل الإسلام مرة أخرى، بقول الشهادتان ويغتسل ويتوب إلى الله تعالى ويمتنع عن هذه الكلمة مرة ثانية.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلَّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.